قراءات في علم الجمال

القيم الجمالية كمقياس معياري لتحليل المحتوى

د. الطاهر عمار العباني•

تمهيد

لقد تميز القرن التاسع عشر بالتطور التكنولوجي والذي بدورة اثر في واقع الانسان ونمط حياته وبالتالي تطور الفكر الانساني ليكتشف انماطا جديدة واشكالا مغايرة في التحليل والاستنباط وسبل التعبير والمفاهيم الحسية والتذوق الفني . ومع ظهور تلك السمات والمتغيرات والتي سميت بالحداثة في الفن , انطلق الفلاسفة والبحاث والنقاد والفنانون تجاه الاحساس الجمالي كنظرية نقدية تتطلب التحقيق والاثراء.

الاحساس الجمالي كما يشعر به المتلقي هو إحساس سار أو ممتع وقد يكون بصرياً في الاساس أو سمعياً او فكريا يتذوق من قبل الانسان ليشعر بلذة حسية .

والجمال ليس متعلقاً بالشكل المنفصل أو المنعزل عن مضمونه لكنه يتعلق بالتركيب الخاص للمستويات المتنوعة من المعني والتأثير الشامل والاحساس بالحياة بتألقها وتدفقها الدائمين .

لكن الجمال الفني مثلا أبعد من ذلك وأعمق انه يخترق الوجود وينفذ إليه مجسدا هذا النقاء من خلال تأثيراته الخاصة في الحياة ولكن المعرفة والمحتويات الخاصة بهذه الحياة فهي من الشأن الخاص للإنسان. .

ولكن ماالقيمة ؟ وما الجمال ؟ على اعتبار أن الجمال قيمة يراها البعض في الموضوع ويراها البعض الاخر في الشكل أو الاسلوب كما يراها غيرهم في الاثنين معا نتاج الحالة النفسية للمتلقي .

لقد تباينت نظرة الفلاسفة في كل العصور إلى الجمال كما تباينت نظرة علماء الاجتماع ونظرة علماء النفس وعلماء التاريخ وتباينت نظرة المبدعين على اعتبار أن الابداع لا يسمى إبداعاً ما لم يزخر بالقيم الجمالية التي تغلف القيم الموضوعية لتجلب الاقناع في رحلةالوصول إلى الاقتناع . وأي كانت النتيجة, فان الجمال يدرك بأسلوب خاص ألا وهو الأسلوب الجمالي الموجود في ذاتية

• أستاذ النقد والتحليل – كليه الفنون والإعلام . جامعة طرابلس

الأشياء وبه صفات جمالية وقد نال تعريف الجمال من الفلاسفة ما لا حد له من التعريفات المختلفة الى أن جاء العالم الالماني (الكسندر جوتليب بومجارتن) والذي يعتبر مؤسس علم الجمال في العصر الحديث . ويعتبر بو مكارتن اول الفلاسفة الذين دعوا الى استقلال علم الجمال بذاته عن الفلسفة وجعل له نظريات وشروط ومقاييس وفروع وبالتالي أصبح لعلم الجمال الاثر الكبير في مختلف الميادين المعرفية والعلمية والفنية الاخرى التي تتأصل بها قيم ابداعية لها أهداف وغايات تواصلية.

أهمية البحث :

تكمن الاهمية في استبيان القيم الجمالية ودورها في معيره الانتاج الابداعي والمتعلقة بالأثر الفني والجمالي الذي يحدثه في المتلقي باعتبار أن علم الجمال , كون ان علم الجمال علم معياري وفق اطره النظرية.مشكلة البحث: يستنطق البحث جملة من العوامل التي تدفع الى استخلاص المعنى من المنبه المعروض وعوامل الاستغلاق او الاندماج في علاقتهما ببعض و حقيقة الدور الذي يلعبه علم الجمال في استنهاض القيم الحسية و المادية التي تنتج من التعرض لصيغ تواصلية بأخلاف أنواعها , اعلامية كانت أم فنية , نحو المنتج المعروض و الاعجاب به من عدمه في وسائل تحليل و قياس ذلك الاثر الناتج عن ذاك التواصل من خلال محتواه و يمكن استعراضه في ماهية القيم الجمالية وكيف يمكن اعتمادها كمعايير في تحليل المحتوى .

مفهوم القيمة:

القيم هي الأشياء المرغوبة في نطاق مفاهيم علم الجمال وهي تتنوع فمنها : الاخلاقية و الفكرية والمعرفية والوطنية ومنها الاجتماعية والسياسيةوالاقتصادية) تدرك عن طريق العقل , مثال (الخير– العدل – الحب – السلام) ومنها الشكلي المتصل بجمال الكون وفق تناسب وتوازن ووحدة و توافق في العناصر الممتزجة معا بحيث تمنح المتعة والاقناع لمتلقيها وتلك هي القيمة الجمالية التي تدرك عن طريق المشاعر .(سلام،2011)

–القيمة عند الفلاسفة الاصوليون تمثل القيم العليا في اعراف الشعوب وهي غاية للبلوغ والامتلاك وذلك للإشباع الرغبات حتى يتم التطابق بين العقل والشعور و أثراء التجربة الانسانية كونها غاية وجودية تتمثل في حرية الانا وتنقسم الى مفردات مطلقة وافكار مثالية ترتبط

بغايات واهداف بدورها تترجم الى سلوكيات وافعال تعتبر اساسية في عملية التطبع والتكيف الاجتماعي مع أي منتج ابداعي .

– وحددها السوسيولوجيين بأنها حقائق جوهرية مقومة للبناء الاجتماعي وتحترم الاحكام والمعايير والسلوك الخاص بالتنظيم الاجتماعي وثقافته من معرفة وسلوك . أي انها جملة المعاني الاخلاقية والتي تنحى اتجاهات ثلاثة ,تماثل في الاتساق الثقافية التي تشمل الافكار والرموز والدلالات وان تكون استحقاقية اداء وتعبيرا .

– أما التعريف النفسي للقيم : فهي الحاجة النفسية أو الدافع الغريزية لإيجاد التوازن النفسي والطمأنينة(سلام،2011) وقد قسمت القيم الى عدة انواع , فالقيم الاخلاقية التي تؤكد على الصدق والامانة والاخلاص. القيم الفكرية التي تتمثل في حب المعرفة والعقلانية والتروي. القيم الوطنية, تسوق للتضحية والمواطنة الصالحة . القيم الجمالية والتي بصدد استبيانها كونها تفسر التذوق الابداعي وتدفع تجاهه .

القيم الجمالية :-

تظهر في تلازم المتناقضات في الصيغ الفنية التعبيرية وهي من خواص الاسلوب الفني وعناصره في الشكل الذي بدورة يمثل الوعاء الحاوي للمضمون حين يتحقق التناسب في تلك العناصر المتناقضة وهي نظام تشكيل مادة النص وعناصرها المحققة للإقناع بوصفه وسيلة لتحقيق الاقتناع بالفكر و بالمواقف المختارة لما لها من طبيعة صراعية وأحداث وشخصيات وحوار وصياغه فنية, فالقيمة الجمالية هي وسيلة للأدب والفن عامة في الاقتناع بالقيم الموضوعية (نلمز، د.ت)

عناصر القيمة الجمالية :- القيمة الجمالية تعتبر جزءاً أساسيا في العمل الفني أنها تتولد عن القيمة العقلية أو العاطفية وتقويتها في نفس الوقت ومن عناصرها المستخدمة في أحداث القيم الجمالية : (الوضوح , التأكيد في العلاقة والرموز , التكرار ,الاستجابة , إثارة العاطفة عن طريق الذاكرة) .

وهناك عنصران يتعلقان بالقيم العقلية وهما : (الانتقاء والتنسيق) (سلام،2011)

– نشأة علم الجمال ومقاييسه :–

كان هذا العلم لوناً من ألوان النشاط الفكري منذ نشأة الفلسفة عند اليونانيين حيث تمثل الفلسفة اليونانية المعرفة المتكاملة والنظرة الشاملة للمعارف بعامة وكان التفكير الجمالي ينحو نحواً عقليا منطقياً تبعاً لطبيعة الفكر الفلسفي ومستوياته حيث أن الوعي الجمالي والشعور بالقيم الجمالية لذاتها ومستقلة عن أي فوائد عملية لم تعرف في ذلك الحين .(الصادق ، 1995 ، ص 67)

وقد انفصلت علوم كثيرة عن الفلسفة مكونة لنفسها صيغ مستقلة وكان علم الجمال من ضمن تلك العلوم التي كونت لذاتها كيانا مستقلاً .

ظهر اسم علم الجمال لأول مرة عام 1735م في مؤلف الكسندر بومجارتنكما ذكر سابقا, وعنوانه (ومضات في الشعر) حيث اكد أن هناك نوعا من المعرفة العميقة و الادراك الواعي في الشعر والنثر وفي الفنون الأخرى .

– سقراط ** (469–399) ق.م يرى أن الجميل لابد أن يكون مفيداً مؤديا للغرض .

– أفلاطون (429–348) ق. م يرى أن الجمال هو النافع الذي ينشأ عن التفكير فيه سرور وهو يؤثر لأنه ينقل الانسان إلى عالم الالهة. .

– هيلفيوس : يرى أن الانسان لا يبدع إلا عندما تقع عيناه علية ومعني ذلك أن الجميل هو في عين من يراه وكذلك والقبح وتلك نظرة ذاتية أي انها تقدير ذاتي .(سلام،2011)

مقاييس الجمال (في العصور الوسطي) :

– القديس أوغسطينوس (354–430 م) :يرى أن الرب هو الجمال الابدي المطلق الذي يخرج عن نطاق الاحساس وأنالفن لا يتنج صورا واقعية لهذا ومن هنا يبرز جمال العالم الفعلي .

مقاييس الجمال (في عصر النهضة) :

– هتشعن (1694 – 1274 م) يرى ان الجمال اما اصل طبيعي واساسه الوحدة والانسجام مع التعدد ، واما تقليدي فيمطابقته للأصل .

– بأوم جارين (1714 – 1746 م) يرى ان الجمال هو الكمال الذي يشعر به الانسان دون الحاجة الى التأمل العميق . (سلام،2011) مقاييس الجمال عند العرب :

- ابن قتيبة * : يرى تفريق اللفظ عن المضمون بما يغلب بتقديره الشكل على حساب المضمون كون ان الشكل غالبا ما يكون مكمن الابداع .
- فالبلاغيون العرب يؤكدون ان مقاييس الجمال يكمن في الصور البيانية والبلاغية من تشبيه واستعاره وبلاغه وكنايه ، وهذا ما رفضه عبدالقادر الجرجاني ، اذ جمع بين اللفظ والمعنى والتعبير والصورة وقضى على فكرة الفصل بين التعبير الواضح والتعبير المزخرف.

ويرى المعري أن الجمال هو جمال الخلق والخالق وتقديره ذاتي كما انه فريضة موازية للتقوى (أبو الحسن ، 2008 ، ص65) حيث يقول واصفا القدرة الاهيه

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت لنا ياعبادي اتقون
وأنت الجمال تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

مقاييس الجمال عند الكلاسيكيين :

* فرنسيس هاتشتون : يرى الجمال اما اصل طبيعي واساسه الوحدة والانسجام مع التعدد ، واما تقليدي يسعى الى محاكاه للأصل .

ديكارت ** : يقول بان لا وجود لشيء اسمه الجمال ويعني بذلك ان الجميل او القبيح هو معنى يقدره الناظر نفسه , أي انه تقدير ذاتي .(أبو الحسن ،2008 ،ص66) بمعنى ان ما يراه البعض جميلا , يراه الاخرون غير ذلك .

مقاييس الجمال عند الرومانتيكيون

هيجل **** : (1770 – 1831) يرى أن الجمال يكمن في ادراك العقل لتألق لفكرة معينة من خلال وجود حسي في الشيء الجميل و هو وحده الفردي والكلي .والفن لدى هيجل هو ميدان الروح المطلقة التي تدرك في المرحلة ذاتها في صياغة حسية صورية, أما الجمال في الطبيعة هو تمهيد للمثل الأعلى الذي لا يتجلى كاملا إلا في الفن .

وفي المرحلة الرومانتيكية يتعدى الفن حدود كشف الروح المطلقة عن ذاتها عبر الإحساس ، ويرتقي إلى الشكل الأعلى وهو الفلسفة ، حيث تتجلى الفكرة في شكل مفاهيم ، وركز في شرحه التحليلي لتحديد مفهوم للجمال بدراسةللأعمال الفنية انطلاقا من مقومات : العام والفردي ، المضمون والشكل ، الذاتي والموضوعي ، الحسي والعقلاني .حيث قام بتحليل مفهومي

التراجيدي والكوميدي على ضوء نظرية الفصل بين الأنواع عند النظر لجوهر الإبداع الفني المتمثل في إدراك عملية التطور الذاتي للروح والقدرة على التعبير ، التي تستند إلى الخيال والإلهام الإبداعي في الصيغ فنية .واكد على ضرورة قيام الفنان المبدع بدراسة الحياة والاستيعاب الكامل لمادة الفن .

- مايكل انجلو * : يرى ان قيمة الجمال ماثلة في قيمة المادة نفسها ، أي بمعنى أن الجمال مصدره المادة نفسها.

وإذا كان كل من أفلاطون وهيجل يرون أن الجمال هو (القدرة على ترجمه ما في النفس) فأن ذلك يعني أن كل عمل تعبيري أدبي أو فني هو جميل على اعتبار أن الاعمال الابداعية في الادب وفي الفن تقوم على ترجمة ما في النفس البشرية,كما أن الجميل في الطبيعة وفي الحياة هو كل الصيغالتي تحفز أحاسيس النفس لدى الفرد التي استقبلت تلك الصيغ .

غير أن إدراك الجمال يكمن في إدراك (الرابط الاساسي في الانتاج الابداعي للفنون ففي فن الموسيقي يكون الرابط الاساسي هو (النغم)

وفي الرسم الرابط الاساسي هو (اللون) اما في

الادب الرابط الاساسي هو(اللغة) وفي الشعر (القافية) والسينما الرابط هو(الاتساق)

و فيالرقص الرابط الاساسي هو (الحركة) .

فالصيغ الفنية مختلفة الوسائط , جميعها تزخربالإدراك العقلي والذهني... فالفن في الجمال والجمال في الفن ولا فصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة .(سلام، 2011، ص18-19) والخاضعة للأحكام الجمالية التي يقصد بها درجة الاتفاق بين الحكم الذي يصدره المتلقي للعمل الفني وأحكام الخبراء في الفن ويختلف هذا في أن المحك الخارجي ليس هو إبداع الفنان الذي يتناوله المتلقي بالتفصيل وإنما هو اتفاق جمعيبين التلقي المعرفي والاحكام النقدية الفنية الشائعة في عصره وثقافته .(فراج ، 1999 ، ص 120)

أن الدراسات السابقة لم تتناول هذا الجانب من جوانب التحليل الفني إلا في ميدان الفنون البصرية ومن أشهر هذه الدراسات التي قام بها (تشايلد)* حيث أعد اختباراً يطلب فيه من المتلقيأن يقيم الاعمال التي تعرض أفضل وجهة جمالية وإنيعبر عن حكمه الجمالي الذي يقارن و يقيم لمعرفه مدى مطابقتهلأحكام النقاد الخبراء .

*فرانسيس جيمس تشايلد (1825-1896) هو باحث وعالم تربوي أمريكي .

وتؤكد الدراسات بأن عملية الحكم الجمالي تأتي على حساب كل من الحساسية الجمالية والتفضيل الجمالي على النحو التالي :-

الفريق الاول : يتمسك بوجوب وضع أسس وقواعد وقياسات عامة للتقييم يمكن الرجوع إليها عند الحكم الجمالي ومن هؤلاء الكلاسيكيون الذين اخضعوا العملية المعيارية الفنية لقواعد رياضيه تطبيقيه , مبعدين بالتالي القراءة الذاتية .

الفريق الثاني : رفض التسليم بوجود قواعد أو معايير موضوعية للذوق الانساني وفي رأي هؤلاء أنه لا يمكن المناقشة في الاذواق فحكم الذوق عند هذا الفريق ذاتي والحقيقة أن معايير الذوق ليست خاصة بصاحب الخبرة وحده وإنما هي خلاصه تجربة أعم وأشمل هي تجربة المجتمع والتاريخ كما ان المعايير تخضع للتطور والتغيير بفضل حركات التجديد وبفضل ابتكار وسائط جديدة من الجمال .

الفريق الثالث : يقف موقفاً وسطاً يجمع بين العاملين الذاتي والموضوعي : بمعني أن هناك من الاشكال ما يتفق عليه الجميع من حيث هو جميل وهذا الاتفاق يرجع إلى وحدة التفكير والظروف والملابسات بين الافراد بحيث تزول الفجوة بين الذات والموضوع وينصهر الاثنان في واحد , فالموضوع ليس إلا وحدة الذات تجمعت وتبلورت ومن ثم تحولت إلى مقاييس عامة وشاملة للجمال وإذا كان هناك اختلاف حول ما إذا كان الحكم الجمالي يجنح تجاهالذاتية أم ناحية الموضوعية أم يشمل الذات والموضوع اللذان لا يمكن فصلهما في المجال الفن .(عايد، 2010)

شروط الحكم الجمالي عند (كأنط) *:

أن كأنط يحدد أربعة شروط للحكم الجمال كان لها فيما بعد أبعد الاثار في الفلسفة الحديثة والمعاصرة واستثارت أفكاره العديد من الآراء والافكار المؤيدة لها والمعارضة , فعلى سبيل المثال آثار جوتتيه بقوله أن التذوق الجمالي يتطلب مسافة نفسية وهذا يعني وضع الموضوع بعيداً عن موقع الحاجات والاهداف النفعية وأكد أن الخاصية الاساسية المميزة للجمال هي أنه غاية في ذاته وأنه ليس وسيلة لأي غاية . والاشتراطات الأربعة هي:

- الكيف : حدد كأنط الجميل بأنه ما يسرنا بغير أن يترتب على سرورنا به منفعةأو فائدة ومن هنا يختلف الجميل عن ما يسبب اللذة أو ما يرضي حاجة جسمانية .

*إيمانويل كانت (1724 – 1804) فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر .

– الكم : وكون ان الجميل ما يسرنا بطريقة كليه وبغير استخدام أي تصورات عقلية فوصف شيء ما بأنه جميل لا يستند إلى أدلة عقلية وبراهين منطقية ومن ثم فالسرور والبهجة بالجميل لا ترجع إلى دوافع شخصية وأسباب خاصة و يفترض اشتراك الجميع في الاعتراف بقيمته الجمالية .

– الجهة : اكد كأنطأن الجميل يتصف بأنه حكم ضروري أي عكس مستحيل ويرجع السبب في ذلك إلى أن له أصولاً مشتركه لدي جميع أفراد الانسانية فالذات الانسانية طبيعتها واحدة ويمكنها أن تستجيب استجابة واحدة عندما تكون بصدد الجميل .

– العلاقة : يتصف الجميل بأنه يوحي بالغائية بغير أن يتعلق بغاية محددة وهذا يدل على أن الحكم الجمالي يتعلق بالخصائص البنائية المميزة للموضوعات المنبهة وبساطتها وتوازنها ومثل هذه الخصائص البنائية لابد أن ترتبط بتفضيل المتلقي لهذه الموضوعات المنبهة (مطر ، 1989 ،ص 11).

إن الحكم الجمالي قائم على خبرة مباشرة ايجابية بالموضوع و لا يتحتم أن يدرك القبيح كي ينهي الى الجميل كحكم اخلاقي قائم على القيم السلبية والذي يقود الى طرح السؤال عن غائيه التذوق الجمالي وهل هو لا عطاء احكام تقييميه ؟.

– وهل يهدف التذوق الجمالي إلى تطوير قابلية الفرد ليكون باستطاعته إصدار الاحكام الجمالية ؟

أن الشك والايهام والحيرة التي تحيط بمشكلة تقييم الفنون والتي يعاني منها المختصون أنفسهم ستتضاعف حين يلقى على كاهل الاخرين من غير ذوي الاختصاص وعلى المرء أن لا يخلط التذوق الجمالي بالتقديم الفني كون غاية التذوق الجمالي ينبغي أن تكون تحقيق تجربة جمالية وبالإمكان الاخذ بذوق الفرد لبلوغ هذه التجربة عن طريق المعرفة والمقدرة الحسية التي يتمتع بها الفرد نفسه ولكن لكي تتحقق هذه التجربة علي الفرد أن ينظر إلى الفن بتفاعل أولاً لا أن يحكم عليه فإذا استجاب إلى أعمال فنية معينة والمقيمةمسبقا لإدراك العلاقات الفريدة في هذه الاعمال فقد يكتشف بعدها أن الاشياء التي كانت ذات شأن لديه لم تعد تقنعه أو ترضي نزعاته الجمالية فالأشكال والصيغ التي سبق أن أثارت فيه ردود فعل قوية قد تفقد تأثيرها بمرور الوقت .

ولكي يعثر على غيرها ذات حوافز جمالية مؤثرة عليه أن يستكشف من جديد الاعمال التي سبق أن بدت له ذات معني ليري ثانية إن كان فيها ما يغني تجربته الجمالية . إن أهمية التقديم تعتمد على الخبرة والكفاءة المطلوبة للحكم على العمل الفني والتقييم السليم قد يكون عوناً على التذوق الجمالي لمن أراد أن يبحث عن المعني في الفنون وأخيراً يشير بعض العلماء إلى أن هناك

خطان للفكر يمكن حدوثهما خلال التأهل الفلسفي للذوق الجمالي وذلك عند التفكير في أحكام الذوق بسبب صراع الصفات التي تعبر عن أهداف الاحكام الخاصة بالتذوق وذلك بالمقارنة لا ستقامه الكثير من أنواع الصفات والاشياء التي يمكن وصفها و التعبير عنها على النحو التالي .

ليس هناك عاطفة خاصة بالذوق يمكن أن تمثل بشكل حقيقي , ما يوجد بالشيء ,فالجمال ليس صفة في الاشياء في حد ذاتها ولكنه يوجد فقط في العقل الذي يتأمل الاشياء وعند التفكر في أحكام الذوق فإن المرء قد يشعر بالدهشة البالغة بسبب طبيعة اختلاف الافراد في القدرة على إصدار أحكام الذوق وهذا الاختلاف يتم بسبب تميز الافراد في الخبرة والمهارة و في الذوق ورغم هذه الاختلافات فقد يوجد التقاء في الآراء على المستوي العام في بعض الاحكام ,ففي وسط التباين الموجود في التذوق يوجد مبدأ عام للأعجاب أو عدمه . (مطر ، 1989 ،ص 12).

الذي يعتمد بالأساس على ماهية التفضيل الجمالالذي يقصد به نوع من الميل الذي يتمثل في نزعة سلوكية عامة لدى الفرد لتجعله يعجب بنوع معين من الأعمال الفنية دون غيره ومعني هذا أن التفضيل الجمالي يتعلق بالأثر الذي تحدثه الاعمال الفنية في أبسط مظاهرة أي صورة القبول والرفض أو الحب والنفور, ويتطلب التفضيل الجمالي أن تكون الاعمال الفنية التي تعرض على الفرد للمفاضلة من فئات واساليب مختلفة.(فراج ، 1999 ، ص 126)

أن هذا الجانب من جوانب التفضيل الجمالي قد حظي بدراسات عديدة من ميدان علم النفس أشهرها ما قام به العالم " سيرال بيرت " مع عدد من تلاميذه وقد أجريت هذه الدراسات على مختلف وسائط الفن كالأدب نثراً وشعراً والرسم والعمارة والنحت ..إلخ ومن أهم النتائج التي توصلوا اليها بالإضافةإلى وجود عامل التذوق الجمالي العام وعوامل التفضيل الجمالي لمختلف أنواع المحتوى التي توصلت الى وجود عاملان ثنائياً القطب يدلان على تفضيل الاساليب الكلاسيكية في مقابل الاساليب الرومانسية .

وتفضيل الاتجاه الواقعي في مقابل الاتجاه الانطباعي, ويختلف هذا الجانب من جوانب التذوق الفني عن الجانبين الاخرين في أنه لا توجد فيه مجموعة عامة واحدة من المستويات التي تتعلق بالذوق الجيد وإنما يفترض وجود أنواع عديدة من الذوق الجمالي ولا يوجد فيه ما هو أصوب أو أفضل . والحكم في هذه الحالة هو من نوع الأحكامالانتقائية النسبية حيث توجد طرق عديدة للاستجابة للفن لكل منها قيمة وحدود.(أبو حطب ، 1973)

وتشير الدراسات إلى أنه في التفضيل الجمالي يتطلب من الفرد أن يختار الذي يحبه أكثر من سواه والذي يروق له بدرجة أكبر ومضمون هذه التعليمات هي أنها تتعلق بالمهمة التي تدعو إلى التقدير الموضوعي وأنه لا يمكن تقييم الاستجابة وفقاً لصحتها " إصدار الاحكام الوجدانية " ويشير البعض إلى أنه يمكن النظر إلى التفضيل الجمالي على أنه تعبير عن تقييم الفرد للإمكانيات المتاحة أمامه.

أن الدلالات الخاصة بكلمة تفضيل تتضمن عمليات مقارنة تتم (بين شيئين أو أكثر وتكون محصلة هذه المقارنة اختيار شيء معين أو أكثر) .

أن التفضيل الجمالي يعتبر عملية نفسية تشير إلى الترتيب الذي يضعه الفرد لعدة بدائل بحسب أولويتها وأهميتها وقيمتها بالنسبة له .

علماً بأن خصائص التفضيل الجمالي ترتبط بالاتجاه حيث أن التفضيل الجمالي يتضمن ضمناً أو صراحة عملية تقبل أو رفض لموضوع معين مما يجعله متداخلاً مع الاتجاهات التي ينخفض فيها الوعي والارادة والتبرير المنطقي بينما يرتفع كل هذا و يكون أكثر شمولاً سواء في الاستجابات التي يظهر فيها أو في الاهداف أو الموضوعات التي يتجه إليها خلال عملية التفضيل الجمالي. أشار بعض العلماء إلى بروز عاملين كبيرين أولهما عامل استخلاص المعني من المنبه المعروض وعامل الاستغلاق أو الاندماج في العلاقة معه والحقيقة أن التفضيل الجماليبوضح اتجاه الفرد العاطفي و الشخصي نحو إعجابه أو عدم إعجابه بالعمل الفني والطريقة التي يصل بها الشخص إلى تحديد تفضيله حيث تتضمن بعض التقييماتولكنها ليست عاملاً قاطعاً , وعندما يطلب من الفرد تحيد تفضيله فإن ما يقوله سوف يكون الاجابة الصحيحة بالنسبة له ولا تكون هناك حاجة لتفسير هذا التفضيل ومن ناحية أخري إذا أصدر الفرد حكمه على أحد الاعمال الفنية ب" جيد أو ممتاز " فالمتوقع أن تكون هناك بعض الاسانيد والأسباب التي يؤسس عليها قراره .

حيث نجد أنه يتركب من مجموع الاستجابات لمواقف مختلفة وكل استجابة إيجابية أو سلبية تتضمن ممارسة لقدرته على التفضيل وإصدار الاحكام .(البسيوني ، 1969 ، ص 20)

– ولكن هل معني وجود الاستعداد والانتباه للمثيرات الجمالية لدى الفرد أن يتغلغل هذا الاستعداد ناحيه اتجاه داخلي نفسي يعمل عمل الدافع فيدفع الفرد إلى إشباعه ؟ والجواب أن الفرد عامة سواء كان لديه الاستعداد الفطري للإحساس بالجمال أو كان يملك اتجاهاً جمالياً فهذا معناه أنه

قادر على فصل الخبرة الجمالية عن حاجات ورغبات الحياة اليومية فالفرق بين النظر إلى السماء وهي ملبدة بالغيوم علامة المطر وبين أن ندركها على أنها كمجموعة من الاشكال التي تتضمن نغمات من الالوان الانغام ليست دليل فقط على التغيرات الجوية ولكن كثيراً ما تعوقنا ظروف الحياة الواقعية عن الادراك الجمالي . (مراد ، 1966)

- نظريات علم الجمال :

تعددت نظريات علم الجمال فإلى جانب نظرية المحاكاة هناك النظرية الشكلية (الماركسية والبنيوية) والنظرية الانفعالية (الرومنتيكية) إلى جانب نظرية الجمال الفني والنظرية الفينومونولوجية .

1- **نظرية المحاكاة** : وهي نفسها نظرية أرسطو التي يذهب فيها إلى أن مصدر الجمال يكمن في الكلي وليس الفردي ويضع أفضلية للفن على التاريخ وهذا معناه أن مصدر الجمال من داخل العمل الادبي أو الفني نفسه وأنه يتعلق بالشكل الفني كونه الوعاء الحاوي للأبداع, قبل المضمون والكلي المحكوم عنده بجدل المطلق والنسبي وجدل المظهري والحقيقي ليس مجالاً ينفرد به الفن عن بقية أنواع المعرفة والعلوم , في حين أن الجمالي هو خاصية في الفن .

2- نظرية الجمال الفني : وجهت النشاط الخلاق والتذوق الى القيم الإبداعية حيث شكلت الاعتقادات المتعلقة بالفن وقيمته ومن ثم أثرت على الفنان و إدراك المتلقي نحو قيم معينة في العمل الفني وجعلت الناقد في حكمه على العمل الفني يركز على هذه المبادئ التي تقدمها له هذه النظرية .

3- النظرية الرومنتيكية : تركز على المبدع حياته ووعيه وتخيلاته رافضه بالتالي ما اكد عليه الكلاسيكيون في تأطير الفن بقوالب نمطية وقياسات ثابته وجب التقيد بها.

4- النظريات الشكلية : وهي تلك النظريات التي تبنتها الماركسية مع البنيوية والسيميولوجية وهي تركز على دراسة طبيعة العمل الفني نفسه إما معزولا عما عداه (الشكلية) إما كشفرة نستخدمها في البناء المعني (البنيوية والسيميولوجية) واكتشاف الشفرات والعلامات التي تقوم بعملية التوصيل في العمل الفني وتكون مسئولة عن إنتاج الدلالة في العمل الفني أو في سياق اجتماعي وتاريخي (الماركسية) .

5- النظرية الفينومينولوجية : تركز على تجربة القارئ أو المتذوق في تلقي العمل الفني وتعطيه دوراً متميزاً في استكمال ما يقدمه المبدع وتعتبر أنالعمل ناقص وقاصر ما لم يكمله المتلقي بتجربته (سلام،2011، ص24- 25).

نظريات القيم (سيرولا ، د . ت):

هناك من يصنف هذه النظريات إلى نهجين : أحدهما علمي والاخر فلسفي :

- النهج العلمي :

1- نظرية اللذة النفعية
2- نظرية الرغبة والميول
3- النظرية الفرويدية
4- النظرية الماركسية
5- النظرية الاجتماعية
6- النظرية الذرائعية
7- النظرية الأبستمولوجية

- النهج الفلسفي :

1- النظرية الانتقالية .
2- النظرية الوجودية .
3- نظرية الارادة .

مصادر الجمال في الابداع الادبي والفني :

تختلف رؤية الفنان لمصدر القيمة الجمالية تبعا لاختلاف نظرته الى كل اتجاه أدبي أو فني , فالفنان الطبيعي له نظرة مغايرة لنظرة الفنان الواقعي أو الرومانسي أو السريالي والانطباعي والملمسي والتكعيبي والرمزي والتجريدي للشيء نفسه ويمكن توضيحها على النحو التالي :

1- الفنان الطبيعي : يرى الاشياء بعينها .
2- الفنان الواقعي : يرى الاشياء بعينه هو .
3- الفنان الرومنتيكي : يرى الاشياء بحسه .
4- الفنان السريالي : يرى الاشياء ولا يراها .
5 – الفنان الانطباعي : يرى الشيء الواحد من عدة أشياء .
6- الفنان الملمسي : يرى صراع المتناقضات بعيون بيئتها وعصرها .
7- التكعيبي والرمزي والتجريدي : يرى جوهرها بأفكاره .

وبهذا نجد ان الجمال يرى بنظرة تختلف من فنان لآخر وفق مفاهيم ومعنى جمالية الفن الذي تصدر عنه.(سلام،2011مص 23) و لفظة الجمالية :

تشير الى فكرة النظامية والتناسق كقانون منظم بالغ الدقة والضبط نابع من علم الفلسفة وضمن نظام قياسي لعاملين أساسيين يتواجدان بالضرورة في معنى الجمالية وهما :

1. الادراك الحسي:

بمعني القدرة على الفهم عن طريق المدركات الحسية أو العقلية لكي يكون الشيء قابلاً لأن يدرك إدراكا متكاملا وهو مما اسموه الفلاسفة الاغريق تحديداً وعي الذات الاستبطاني .

2- الادراك بالترابط :

كما تشير المراجع أن الالماني ألكسندر جوتليب بومجارتن (1714 –1762 م) **هو الاول في القرن الثامن عشر الذي بدأ أبحاثا تناولت علاقة الفن بعلوم الجمال ضمن كتابه (تأملات) مطلقا المصطلح الالماني استاطيقا (Aesthetik) ومحدداً ومفسراً فيه مفاهيم فلسفية و عبارات لها الاهمية البالغة كمفهوم الجمال والتقويم الجمالي و النوعيات الجمالية والتقدير الجمالي و النشاطات والفعاليات الجمالية وغيرها من القواعد والاحكام التي تحدد العلاقات الفنية المتشابكة بين الجمال والفن . واكد بان ثمة نوعين من المعرفة : معرفة حسية وأخرى عقلية. الاولي غامضة والثانية واضحة ومتميزة وبين كلا النوعين يوجد نوع وسط هذا الامتثال ان الواضحة ولكنها ليست متميزة , تدرك بوضوح ولكن دون تمييز وهذا النوع من المعارف هو علم (علم الجمال).

برزت القيمة للجماليات في الفنون كما برزت قبلا في علوم أخرى مثل علم المنطق وعلم الاخلاقيات عن طريق القول أداءً شعرياً أو أداءً تمثيلياً و على خشبة المسرح أو الشاشة السينمائية و حتي عن طريق الاستماع كما في فني الموسيقي والاوبرا أو بالمشاهدة البصرية كما فى الفنون التشكيلية والتطبيقية والمعارض الفنية وذلك للوصول إلى نقطة مركزية مهمة تقود الى الاستحسان المتضمن لعامل الاعجاب والموصل لتسلم الرسالة الفنية الجمالية وبالاستدلالوبالإيجابفإن كل هذه السلسلة تقتضي وجود حلقة اتصال حسية بالدرجة الاولي بين

** ألكسندر جوتليب بومجارتن (1714 – 1762) هو عالم جمال وفيلسوف ألماني .

المرسل الفنان والمستقبل المتلقي أو بين العمل الابداعي والمستمتع به أي بين الفنان والجماهير (أبو الحسن ،2008 ، ص 12- 13) .

اما تلك الرسالة الحسيه والتي يجب أن لها موضوعا جماليا يتصف بعناصر الجماليات الفلسفية والفنية حتى يمكن إطلاق لفظة (الجمالية) على موضوعهاأو مادتها أو قيمتهامن الضرورة بمكان أنيحمل موضوعها خيوط مختلفة تؤكد الحقيقة الموضوعية بحيث يبرز فيها تميز لخبرة ذاتية في الفن العملي كالشعر والمسرح والسينما وغيرها تقود إلى المطابقة والمماثلة التي تثبت وتعين هوية انتمائيه للموضوع الجمالي.

ويظهر الموضوع الجمالي حاملاً بالضرورة لنوعيته الجمالية عبر إعادة تفسير تحليلي وفلسفي للفظة (الموضوع) بمعني أن الموضوع في إعادة تفسيره لا يستعمل عبارات أو تعبيرات عامة أو شائعه في الحياة العامة مثل الضوء و الحيوانات و النباتات والاشخاص والاحداث وغيرها لان كل هذه موجودة في الحياة وفي البيئة الانسانية واستعمالاتهاالروتينية اليومية ليست بكافية عند إيرادها – في الادب والفن خاصة – للارتفاع بموضوعها إلى مرتبة (الجمالية) .

إن إعادة التفسير (جمالياً) إنما يعني المركبات الحسية أو العقليحتى يكون الموضوع قابلاً لأن يدرك حسياً أو عقليا حتى يمكن فهمه من خلال احدى الوسيلتين , الوسيلة السمعية والوسيلة البصرية(أبو الحسن ، 2008 ، ص 16- 17). ان النوعيات الجمالية عديدة و متعددة تظهر في عدد من الاشكال المختلفة بعضها في المضمون وفي المعني معا فمفهوم الجمال (نقيض) مفهوم القبح ومفهوم الفخامة نقيض مفهوم الرداءة و مفهوم الفن نقيض مفهوم اللافن .

ان هذه النوعيات تحمل نفس متناقضات المعني وتضاربات الموضوعات واختلاف العلاقات كما إنها ترتبط في نشأتها ارتباطا وثيقا بمواقف الحياة الاجتماعية في مجتمع ماوبالأشكال التقليدية التي تنصهربالعادات والتقاليد الموروثة في مواجهة صنفمن الاشكال المتطورة في المضمون والمعنى تحاول الارتقاء والدخول إلى عالم الجمال (الاستاطيقا).

هذه الاشكال المتعددة لا يظهر الجمال في كل منها مكتملا دفعة واحدة لأن لكل منها نوعية خاصة ترتبط من بعيد أو من قريب بمفهوم الجمال الصافي في الماضي البعيد وقد بحث علماء الجمال القدامى عن النوع الجمالي آنذاك كما يبرز في الفنون التشكيلية القديمة وفي المعمار وفي فن النحت إبان عصره الذهبي في القرن الثاني الميلادي بما يكشف عن عامل الاثرية والقدم في الحياة القديمة وكذا في العصور السابقة على القرون الوسطي وإلى جانب الاهتمام الزائد بالجمال

كان هناك عنصر العظمة وعنصر السحر ثم تبعهما عنصرا التراجيديا والكوميديا باعتبارها الانعكاس للنوعية الجمالية في الفنون آنذاك(أوفسيا نيكوف وآخرون ، 1981 ، ص 14- 16)

خضعت هذه النوعيات الجمالية للتحليل ولتنقيب في عصر النهضة من قبل العلماء الانجليز الامر الذي ادي الى اكتشاف عدد من المصادر والاتجاهات في النشاط الجمالي واسبابه .

ولقد تعرضت النوعيات الجمالية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين لمزيد من الكشف والتحليل بفضل علماء الجمال الالمان , حيت توسع مضمار هذه النوعيات وحجمها , فدخلت الي هذه النوعيات مصطلحات جديدة تجلت في مصطلحات التضاد :

- غير متوقع
- النادر , الاستثنائي الفريد , الفذ
- التغير والاختلاف , التباين
- المماثل , المشابه
- المتنافر , غير المتجانس -

فضلا عن ان الرومانتيكيين قد أضافوا عنصر الى عنصر القباحة والوضاعة".(عيد،1980، ص 14.)

ان مهمة النوعيات الجمالية المختلفة هي ابراز الجانب المهم والمضيء في الحياة الانسانية والحياة الاجتماعية عبر السمع والبصر في شكل الحس , في الجانب الايجابييظهر الجمال كما تظهر الحرية , وفي الجانب السلبي المضاد يظهر القبح كما تظهر الفوضى نتيجة مسلمه للانحرافات وعدم سلامة الفهم والادراك , وهو ما يمكن ان نستخلص منه انه كلما ظهرت هذه النوعيات الجمالية في مجتمعات منحرفة او غير سليمة حملت معها تأثراتها الضارة كنوعيات جمالية , والعكس بالعكس .

هكذا تتغير شخصية الأنسان مع مجتمعه , لكن الشغل الشاغل لهذه النوعيات الجمالية هي في حملها وكشفها عن عناصر تطور المجتمعات وتغيرها من العبودية الى الانعتاق , من التخلف الي التطور ومن ضعف الذوق او فقدانه الى ارتفاع منسوبه .

صحيح ان هذه النوعيات – عند فحصها – تبدو وكأنها غير طبيعية , كما انها لا ترى على مستوى العين , لكنها مع ذلك تصبح على مستوى الادراك الاجتماعي كعوامل حسية تدرك

بالحواس , ثم تمر بارزة في مرحلة الظهور , وهو نفس القياس او المعيار في حالتي الادب والفن .(هاني ابو الحسن ،2008) الاستنتاجات:

من الطبيعي ان يحتاج البشر الى الاحساس بالجمال وتذوقه بعد اكتساب المشاعر نحوه , ومن الطبيعي ان يختلف البشر بعضهم بعضا , لاختلاف ذائقتهم و مناطقهم الجغرافية وقيمهم وسلوكياتهم واختلافات اخرى مرتبطة بالعادات والتقاليد و في النشاط والتربية والتعليم و العقيدة و الثقافة و الوعي والخبرة والتي يمكن استخلاص جمله من الحاجات الضرورية لتطوير نوعيات الذائقة الجمالية :

1- الحاجة للبحث عن خلاص او ملجأ في فن من الفنون سوى كانت سمعية او بصرية وذلك لتحديد غايات واهداف العملية الاتصالية ومدى اثرها على المتلقي.

2- الحاجة للمعايشة مع مضمون التواصل وشكله الفني اذا ما كان يروقنا او نميل اليه بهدف انجاح عملية التواصل و الارتقاء بحياتنا الشخصية الى درجات السمو.

3- الحاجة الى الوصول الى مشارف الشعور بالتطهير النفسي ونقاء الذات وذلك لتحقيق ارجاع صدى ايجابي .

4- الحاجة إلى الترقية الفكرية والثقافية وامتلاك أدوات التحليل .

5- الحاجة لإقامة علاقة بين مكنونات الفن وسرائرنا الفكرية والمعرفية الداخلية الوجدانية.

قائمة المراجع:

1- أبو الحسن سلام. جماليات الفنون الادبية, التشكيلية, المسرحية بين اللقطة الزمانية المكانية. .- الاسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر،2011 .

2- أمير مطر. مقدمة في علم النفس وفلسفة الفن.- القاهرة : دار المعارف ،1989 .

3- أوفسيا نيكوف ....وآخرون. أسس علم الجمال الماركسي اللينيني؛ ترجمة جمال الماشطة.- بيروت : دار الفارابي ، 1981 .

4- سعدية محسن عايد . ثقافة الصورة ودورها في اثراء التذوق الفني لدى المتلقي.- جامعة ام القرى، السعودية. 2010 (رسالة ماجستير)

5- عفاف فراج. سيكولوجية التذوق الفني.- القاهرة : المكتبة الانجلو المصرية ،1999 .

6- فؤاد ابو حطب ."التفضيل الفني وسمات الشخصية" .- المجلة القومية، مج 10، ع 1 ،1973

7- محمود البسيوني .قضايا التربية الفنية .- القاهرة : دار المعارف ، 1969.

8- موريس سيرولا .السريالية؛ ترجمة سمير غريب.- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د- ت)

9- نبيل احمد الصادق. "اللذة والجمال ".- مجلة المسرح ، ع75، فبراير، 1995.

10- هاني أبوالحسن. جماليات الإخراج بين المسرح والسينما .- الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر ،2008 .

11- هجنتن نلمز . الإخراج المسرح ؛ ترجمة امين سلامة. - القاهرة : المكتبة الانجلو المصرية، (د-ت).